طبق الاصل

مؤيد نعمة

اعادة تجمع العراق وفقاً لجهود اطرافه الوطنية

ديفيد اغناتيوس

بعد كل زيارة كنت اقوم بها الى العراق على مدى السنة الماضية، حاولت ان ازن كيف تمضي الامور. وفي نهاية رحلة الاسبوع الثاني من آيار الحالي، كان الجواب الوحيد ان ذلك يعتمد على المكان الذي تعيش فيه. فكل السياسة محلية، حتى في براري بلاد ما بين النهرين، والعراق في فوضى.وفي الوقت الذي تقترب فيه عملية تسليم السيادة المخطط لها يوم ٣٠ حزيران، فإن كل عنصر في ستراتيجية ادارة بوش يبدو في حالة اضطراب. فالخطة الامنية تعتمد على القوات العراقية غير الجاهزة حتى الآن. والبنية السياسية الانتقالية غير موجودة، الا ربما في عقل مبعوث الامم المتحدة الاخضر الابراهيمي. والقرار الاممي الجديد الذي كان سيوفر تفويضاً دولياً متيناً يتعرض للعرقلة بفعل الاتجاه التعويقي الفرنسي والروسي. وقد تبعثرت المثل العليا التي اطلقت الحرب على ارض سجن (ابو غريب) الحجرية الباردة.

مع ذلك، فإن هذا التشوش الواسع النطاق يخفي جيوباً من الاستقرار. فالعراق الجنوبي، الذي تنقلت فيه لمدة اسبوع مع القوات البريطانية، هادئ على نحوٍ مدهش- بفضل تحالف مسالم من شيوخ العشائر وقادة دينيين للشيعة مع القوات البريطانية، فقد كان البريطانيون على درجة من الحكمة بحيث انهم تركوا العراقيين يجدون حلولهم الخاصة للمشاكل التي تواجههم، وشعارهم، كما يقول رئيس الاركان في الجنوب، العقيد جيم تانر، هو (ان حجماً ما لا يناسب الكل).

كما ان الشمال الكوردي هادئ نسبياً ومستقر. ويعرف القادة السياسيون الاكراد انهم قد فعلوا حسناً بذهابهم في شبه استقلالهم عن العرب الى الجنوب فقادة قواتهم وعشائرهم يحافظون الآن على النظام، وبينما يمكنهم ابداء ولائهم لمفهوم الدولة العراقية، فإنهم سعداء تماماً لإدارتهم مشروعهم الخاص.

والمجال المزعج هو المنطقة التي يديرها الامريكيون في وسط البلاد. وهذه كانت على الدوام تصبح القطعة الاصعب من اللغز المحير. فبينما يعتبر الجنوب الشيعي متجانساً نسبياً، وكذلك الحال مع الشمال الكوردي، فإن العراق الاوسط خليط عرقي، ديني وسياسي. وكانت مؤسسات الدولة العراقية، لو اعيد تأهيلها، ستحافظ على الوضع السياسي هنا، فالقرار الامريكي قبل عام مضى بحل الجيش والشرطة كان خطأً مكلفاً بوجه خاص. فقد احدث فراغاً ملأه المتمردون، وازلام النظام السابق، والارهابيون وقطاع الطرق- ووضع الجنود الامريكيين في دور الشرطة المحليين غير الممكن.

لكن جيوباً للاستقرار قد ظهرت حتى في الوسط على مدى الشهر الماضي، إذ تتراجع الولايات المتحدة عن شفير حرب المدن الشاملة. وكما هي حال البريطانيين في الجنوب، فإن المحتلين الامريكيين يبدون الآن مستعدين لقبول بعض الحلول العراقية المدعومة من قواعد قوة الامة الوطنية التقليدية، كالعشائر، والقادة الدينيين وبقايا الجيش القديم التي تتمتع بشيء من الاحترام.

وفي بعض الاحيان، سيكون علينا ان لا ندس انوفنا في هذه الحلول المحلية، كما حصل حين قام جنرال في الحرس الجمهوري السابق بإستعادة النظام في الفلوجة. غير ان هذا النوع من الطرق الذرائعية يبدو قابلاً للتفضيل على اشعال حرب مريرة للاحتلال.

ولسوء الحظ، فإن عراق رقعة الداما الذي اصفه الآن لم يعد امةً واحدة. انه بلاد في حالة من تجزؤ الامر الواقع مع الشمال والجنوب السائرين في طريقيهما الخاصين والوسط الكائن في حالة دامية من الاهتياج.

ويمكن ان ينزلق العراق بشكل محزن نحو نسخة اكبر واكثر ترويعاً من لبنان خلال السنوات التي تمزق فيها الى مناطق حكمها امراء حرب محليون. لكن لبنان حافظ، حتى خلال حربه الاهلية الطويلة، على وجود حكومة وطنية، وبعثات دبلوماسية اجنبية، ومجتمع اعمال مزدهر ومؤسسات قانونية وطنية. وفي آخر الامر، تعب اللبنانيون من الحرب، وتعود البلاد الى الظهور كقبلة للسياح.

ونحن، بصراحة، قد تجاوزنا مرحلة الحلول المثالية في العراق. (فإننا بحاجة للعمل بما هو مادي على الارض). كما اوضح احد المسؤولين البريطانيين وربما سيكون الحكام المحليون الاقوياء، الذين يدعمهم قادة عشائر، قادرين على الاحتفاظ بالاحتكار الضروري لقوةٍ يمكنها اقرار النظام في بعض الاقاليم بالتعاون مع قواتٍ للتحالف قائمة (فوق الافق) بعيداً عن المراكز المأهولة بالسكان.

ويجب على ادارة بوش ان تجري تقويماً نزيهاً للواقع المزق الشبيه برقعة الداما لعراق ما بعد الحرب. فالانتقال لن يكون هادئاً ومنتظماً ولن يكون لطيفاً بالتأكيد. ولكن علينا جميعاً ان نكون اسعد لرؤية البلاد تعود الى ايدٍ عراقية.

ترجمة/ عادل صادق العامل
عن/ نيويورك تايمز

الامتحان الامريكي في العراق .. مخاوف وآراء

عقدت في الرابع عشر من نيسان الماضي ندوة في مركز الدراسات الدولية والستراتيجية في الولايات المتحدة تحت عنوان العراق: على شفا هاوية الفشل؟ وقد ادار الندوة باتريك كرون مدير الدراسات في المركز المذكور الذي قال في خطابه الافتتاحي:

ان برنامج اليوم (العراق: على شفا هاوية الفشل؟)

مع علامة استفهام كبيرة تؤكد على الخوف الذي يشعر به الكثير من الامريكيين بشأن الحرب في العراق... ولم نستطع ان نجد ثلاثة خطباء احسن من الذين لدينا اليوم وهم انتوني كو دسمان رئيس كرسي بورك في الستراتيجية في المركز المذكور، وجون الترمان مدير برنامج الشرق الاوسط في المركز نفسه، وبتشيباكر وكر الرئيسة المناوبة لمشروع اعادة الاعمار لما بعد الحرب في المركز المذكور ويتضح من العنوان مدى التشاؤم والخوف الذي يخيم على واضعي السياسة الامريكية (من كلا الحزبين اللذين يتناوبان الحكم). من تداعيات احتلال العراق. ولم تكن هذه هي الندوة الوحيدة التي عقدت خلال هذه الفترة بشأن هذا الموضوع بل سبقتها واعقبتها ندوات كثيرة اسهم فيها وزراء سابقون واعضاء في مجلس الشيوخ واساتذة جامعيون وخبراء في مختلف المجالات.

ولا ادل على اهمية العراق في هذه المرحلة بالنسبة للسياسة الاميركية ما اعلنه الرئيس بوش في مؤتمره الصحفي في البيت الابيض خلال زيارة توني بلير رئيس وزراء بريطانيا حين قال:

(انه من مصلحة ابنائنا واحفادنا ان يكون العراق حراً).

وقد لخص الرئيس الامريكي سياسة بلاده بالكلمات التالية:

(هذه هي ستراتيجيتنا السياسية والعسكرية. اولاً اننا نقف صامدين، سنتخذ كل اجراء ضروري لكسب هذا الصراع. لن نستسلم ولن نتراجع بوجه الهجمات سواء كانت ضدنا ام ضد مدنيينا العزل. ثانياً اننا نتمسك بصورة مطلقة بالجدول الزمني في ٣٠ حزيران لتسليم السيادة الى العراقيين انفسهم. وثالثاً سوف نضاعف جهودنا لبناء القدرة اللازمة للعراقيين انفسهم لممارسة مسؤولية متزايد، عن الامن والقانون والنظام.

وسوف نشدد والاجراءات لتجنيد وتدريب وتجهيز الشرطة العراقية وصنف الدفاع المدني رابعاً سوف نتقدم بخطة الاعمار والاستثمار في العراق بحيث ان جميع اجزاء العراق السنة والشيعة والاكراد - سيعرفون ان لهم مكاناً ومستقبلاً في العراق الجديد الذي يجري صنعه. خامساً وسيكون للامم المتحدة دور مركزي منذ الآن في تطوير البرنامج والآلية اللازمة للانتقال الى الديمقراطية العراقية الكاملة. وسوف نسعى للحصول على قرار جديد من مجلس الامن الدولي لتجسيد الطريق السياسي والامن الى امام.

لماذا يجب ان لا نتخلى مطلقاً عن هذا الصراع التاريخي في العراق؟

نحن ملتحمون بصراع تاريخي في العراق. ويتحدد على نتيجة هذا الصراع ليس مجرد مصير الشعب العراقي. فلو فشلنا، ولن نفشل، فإن الهزيمة ستلحق بأكثر من سلطة امريكا.

توني بلير رئيس وزراء بريطانيا جريدة الاوبزرفر ١١ نيسان ٢٠٠٤.

(ان الطريقة التي نتعامل بها مع العراق اليوم سوف تؤثر على العراق واميركا والعالم للجيل القادم او اكثر. ان كلف الفشل في العراق عالية لدرجة غير مقبولة. اما منافع النجاح من الجانب الآخر فهي استثنائية). السناتور ماكين الجمهوري من ولاية اريزونا في ندوة مجلس العلاقات الخارجية عن العراق بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٢٢.

(واخيراً، وربما اهم من كل شيء نحن نحتاج ستراتيجية سياسية نحن لانملك حالياًاية ستراتيجية. وبغياب وجود شخص محدد لقيادة العراق بعد نقل السيادة وبوجود حتى تساؤلات عن تاريخ التسليم، هناك فراغ سياسي في العراق اليوم. نحن نحتاج ان نقلص القلق بأسرع وقت ممكن بإعلان خطتنا للاحداث التي ستقع بعد الثلاثين من حزيران.

ان التسليم في ٣٠ حزيران يجب ان يعني اكثر من انتقال واضعي السياسة من مقر السلطة الائتلافية المؤقتة الى السفارة الامريكية الجديدة.

لقد اطحنا بصدام وتقع علينا مسؤولية انهاء العمل. وضع السيادة الحقيقية في ايدي الشعب العراقي. ولكن ماذا لو فشلنا؟ لنكن واضحين حول النتائج المحتملة التي تترتب على مغادرتنا العراق قبل الاوان..

واذا ما نجح اعداؤنا في العراق فسوف يعلمون العالم درس مقاديشو بمائة ضعف (المصدر نفسه).

اننا لا نستخدم السلطة الاميركية لإقامة امبراطورية. نحن لا ننفق دماءنا وكنوزنا من اجل المكاسب الاقليمية ولا من اجل النفط ولا لإثراء شركاتنا. نحن نتصرف في العراق كما يجب ان نتصرف في العالم لتحقيق نظام ليبرالي دائم لكوكبنا. ويجب ان توجه سلطتنا بصورة تعزز الحرية والديمقراطية والازدهار الاقتصادي والمؤسسات والانظمة الدولية.

(ان مصالحنا للامن القومي وقيمنا الوطنية يتطابقان في العراق. ان العراق هو حقاً امتحان الجيل لأميركا ولدورنا في العالم).

(ان تحويل العراق الى ديمقراطية آمنة وقوة من اجل الحرية في الشرق الاوسط الاكبر هو صرخة عصرنا. اننا نستطيع ان ننجح ويجب ان ننجح).

(المرجع نفسه).

وعندما سأله احد المتحدثين:

(ماذا لو ان ما يسمى بحكومة عراقية ذات سيادة طلبت منا ان نغادر حتى لو لم نكن سعداء حول الوضع الامني هناك؟).

حسناً اذا نشأ مثل هذا السيناريو فأنني اعتقد انه يجب علينا ان نغادر). ولكن اضاف: ان اميركا سيكون لها وجود عسكري لوقت طويل، طويل، طويل) في العراق حتى بعد تسليم السيادة!!

(المرجع نفسه)

كان السيد هزي كيسنجر وزير خارجية اميركا الاسبق قد ذكر في مقالته المنشورة في جريدة (كورياتايمز) ان العراق بحاجة الى شخصية مثل شخص كمال اتاتورك الذي ثبت اركان الديمقراطية في تركيا. وها هو السناتور ما كاي يعطي نفس المثل ويقول:

ان تركيا حكومة علمانية، لقد زجوا في القرن العشرين من قبل (مصطفى كمال اتاتورك (مؤسس الجمهورية التركية واول رئيس لها) وان تركيا ديمقراطية عاملة وهي بلد مسلم. واعتقد اننا نستطيع ان نكرر تجربة تركيا في العراق ايضاً اذا خطونا الخطوات الصحيحة).

الجوهرة ترفض التاج

ناراسيمهان رافي

وهكذا، بعد التمرد جاء رفض التاج. طوال ست سنوات، كانت سونيا غاندي، زعيمة حزب المؤتمر الهندي، الايطالية المولد، في صراع سياسي مرير شمل اصلها الاجنبي. فيما بعد، وفي لحظة انتصارها بعد الاطاحة بنظام اتال بيهاري فاجبابي وحزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي، اعلنت السيدة غاندي بأنها لن تتسلم المنصب الذي كان في متناول يديها.

لماذا؟

لنعد الى الايام القليلة الماضية، الى نتائج الانتخابات التي لم يتوقعها احد. بوضعهم السيدة غاندي عند عتبة ابواب السلطة في الاسبوع الماضي، سلّم الناخبون الهنود نصراً مزدوجاً للقيم الليبرالية. لقد اظهرت الانتخابات بأن قضايا الخبز والزبدة قد تنتصر عن الهوس الديني، واظهرت كذلك ان المواطنية العالمية المتسامحة بإمكانها ان تسود على القومية الاثنية الضيقة. بعد كل هذا تجاهل الناخبون اصول السيدة غاندي وانتخبوا حزبها وحلفاءه.

علامات تمرد الناخب كانت في كل مكان، لكن احداً لم يقرأها: ليس القائمون على استطلاعات الرأي الا النقاد ولا حتى الاحزاب السياسية، التي سرعان ما وجدت نفسها في صعود قبل الانتخابات كان الجميع مفتوناً بشعارات الحزب الحاكم، استطلاعات الرأي اظهرت ان السيد فاجبابي هو الخيار الشعبي بما لا يقاس لرئاسة الوزراء.

عماذا غفلنا؟ هنالك امر واحد. الاصولية الدينية الهندوسية، التي كانت البند الرئيس لحزب بهاراتيا جاناتا طوال خمسة عشر عاماً، انهت نفسها بنفسها. الناخبون، فيما يبدو، سئموا في النهاية من الدين كقضية سياسية ذات درجة عليا كانوا تواقين لإعادة قضايا الفقر والحرمان واللامساواة والطائفية الاجتماعية والدينية الى المشهد المركزي

هذه القضايا صنفت كمسألة كبرى في المناظرات الدينية التي وضعت الاغلبية الهندوسية (٨٢٪) ضد الاقليات، خاصة المسلمين.

الحزب الوحيد الذي شعر بالتحول كان الحزب الخاسر. في السنوات القليلة سعى حزب بهاراتيا جاناتا الى التخفيف من حدة اجندته الدينية، لكنه لم يتمكن ابداً من تجديد نفسه. الاكثر من ذلك، فبدلاً من التحول نحو الفقراء القضية الاساس في السياسة الهندية وخصوصاً في الحملات الانتخابية سعى الى تصوير نفسه كحزب للتكنولوجيا العالية، للهند الحديثة، متبنياً شعار (الهند المشعة) هذا المزج المتهور للاجندة الدينية الخفية مع الفكر الاندفاعي للاقتصاد الجديد لم يكن ما يريده الناخبون. التصويت لم يكن، مع ذلك، ضد العصرنة والاصلاحات الاقتصادية، بل مثل قضية اجور المهمشين. احس الفقراء بعدم تبني اولئك السياسيين في نيودلهي لمشاكلهم، الذين تحدثوا عن (الحكم الصالح) والتكيف المدني والتطورات التقنية العالية التي نادراً ما مست حياتهم.

لقد كان واضحاً ايضاً ان قضية الاصل الاجنبي التي كانت تثير حنق الطبقات المدينية الوسطى في الماضي، قد نفذ معينها. لا يحظر الدستور الهندي على المواطن ذي الاصل الاجنبي من اعتلاء المناصب السياسية العليا، لكن ذلك لم يمنع حزب بهاراتيا جاناتا من جعل اصل السيدة غاندي قضية انتخابية. لكنه لم ينجح. بعد مراقبتها لأربع سنوات وهي تقود المعارضة في البرلمان، شعر الهنود بأنها واحدة منهم.

عن هذه النتائج الانتخابية المدهشة خرجت اخبار اكثر دهشة، السيدة غاندي ترفض منصب رئاسة الوزارة بعد ان صادق حزب المؤتمر وحلفاؤه على توليها المنصب. كيف لها ان تفعل ذلك؟ تذكر! هذه الانتخابات كانت قصتها بحق، كانت نصرها. الاكثر من ذلك، كان نجاحها مزيجاً فعالاً للديمقراطية والتعاقب السلالي (ليس غريباً في السياسة الهندية ان تورث الادوار السياسية، وحتى المناصب التشريفية، الى الزوجات والابناء والبنات). لعلنا شاهدنا ذلك حين دخلت السيدة غاندي غمار السياسة على مضض بعد اغتيال زوجها. كما حققت نصراً هائلاً فقد اعادت الحياة الى حزب المؤتمر الذي كان يعاني من هزيمة بعد هزيمة وكان ينمو نحو الانحطاط الاخير

وعلمت ان نجاحها كان بفضل مهاراتها السياسية بقدر فضل الهالة الصوفية لإسم غاندي. لقد كان سؤالاً محل بحث ان كان اسم العائلة الذي عمل كمرشح معارضة سيساعد في الوصول الى رئاسة الوزارة.

من المحتمل في الواقع، انها احست بأن التاج الذي سلّم اليها سيتحول الى تاج من اشواك. بينما اهمل الناخبون قضية اصلها الاجنبي، لم تكن هنالك اية اشارة الى ان القوميين المتطرفين وحزب بهاراتيا جاناتا سيبقون صامتين ازاء هذه المسألة. بعد ايام من انتخابها، كتب احد القوميين الهندوس ان نصر السيدة غاندي كان (اهانة لروح الهند) ايديولوجي آخر وصف النتائج بأنها (انتحار ثقافي) بدلاً من تهدئة الشوفينية والقومية الاثنية بدت الانتخابات وكأنها تفتح عهداً جديداً للقتال، قتال ستمضي فيه السيدة غاندي لتثبت حقها الاساسي في تبني المنصب. ولأنها غير راغبة في القتال، رفضت المنصب يقودها (صوتها الداخلي).

لعلها كانت على حق. ان قضية اصلها الاجنبي سوف تقيدها في منصبها، الاتهامات بكونها غير- هندية وغير كفوءة في حماية المصالح الهندية سوف تلازمها وتلازم حكومتها. لن تكون هنالك قضية اخرى غيرها. لعلها ارادت ان تمهد الطريق امام ابنائها ليحققوا نجاحاً في السياسة- انتخب ولدها عضواً في البرلمان، وكانت ابنتها نشطة جداً في الحملة الانتخابية. الآن لا يبدو انهما مثقلان كما كانت والدتهما.

وحتى بعيداً عن الوزراة، ستكون السيدة غاندي مصدر القوة من خلف عرش الحزب الحاكم. يبدو ان قرارها هو ترك فجوة بين التفويض وبين منصب رئاسة الوزارة.

في لحظة الحكمة الجمعية العظيمة، فتح الناخبون الباب والقوا بالفنتازيا الدينية خارجاً.

في لحظة التضحية الشخصية العظيمة، تراجعت سونيا غاندي في ساعة انتصارها.هاتان اللحظتان خلقتا بحق لحظة نبل وشرف الديمقراطية الهندية .

ترجمة: زهير رضوان
عن نيويورك تايمز